Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو تحت إلحاح الضرورة لايجد مندوحة من مغادرة البادية حتى إذا أدى ماعليه من واجب الجهاد عاد إليها . بل إنه حين فكر فى الخروج إلى البصرة على عهد عمر رضى الله عنه ، أبى أن يكون خروجا إلى المدينـــة ، مؤثرا بادية البصرة ، ليستبدل بادية ببادية .

ولسنا بصدد البحث عن السر فى إيثار العباس بن مرداس حياة البادية على حياة الحاضرة ؛ فهذا له مجال آخر غير بحثنا ، إنما الذى يعنينا هنا أن نحاول التعرف على أثر ذلك فى أدبه .

والذى يبطر فيما وصلنا من شعر العباس يلاحظ أثر هذه البيئة البدوية فيه واضحا كل الوضوح ؛ يلاحظ ذلك فى فنونه الشعرية ، ويلاحظه فى أفكاره ، ويلاحظه فى معانيه وأخيلته ، ويلاحظه فى أسلوبه ومنهجه الفنى فى عرض أفكاره ومعانيه ، ويلاحظ فى معجم ألفاظه والأعلام التى ترد فيه .

فالشاعر يكاد يقصر شعره على الفخر والهجاء . ولا ريب فى أن هذين الفنين هما أبرز فنون الشعر البدوى الخالص من التيارات الأخرى ، وذلك لأن البدوى الفارس الذى استقرت حياته بين قومه فى البادية لايحرك نفسه إلى قول الشعر إلى موقف يتطلب منه الاعتزاز بنفسه وبقبيلته ، فينطلق معددا مفاخره على اختلاف مظاهرها . أو موقف يتطلب منه الرد على من أساء إليه أو إلى واحد من أبناء قبيلته أو تطاول على حلق من أخلاقهم ، أو شذ عن أحد أعرافهم ، فينطلق لسانه عندئذ بتصوير هذه العيوب ، وإبراز تلك المثالب ، حتى يتحاشاها هو ومن على شاكلته ... أما ماعدا ذلك من فنون الشعر فيلاحظ أن الشاعر لم يقبل عليها إقباله على هذين الفنين ، ولكنه تناول ماتناوله منها فى شعره عرضا وليس باعتباره فنا مستقلا ، وما استقل منها بالتناول فهو قليل نادر ، على ماسنفصله إن شاء الله تعالى .

* * *

١ — لقد كان الفخر — ومازال — من ألزم الصفات للانسان ، بيد أنه يختلف من فرد إلى آخر ، وفقا لظروفه البيئية ، فما يفتخر به الإنسان فى الحاضرة غير مايفتخر به فى البادية ومايفتخر به فى إحدى الحواضر غير مايفتخر به فى حاضرة أخرى ، كما أن لكل بادية مفاخرها التى يعتز بها ساكنوها . بل إن المفاخر فى الموطن الواحد لتختلف باختلاف مراحل العمر وأطواره ؛ ففى مرحلة قد يفتخر الإنسان بالطيش والاندفاع وراء